

حزب الخضر وأثره في السياسة الألمانية

المدرس المساعد

أثمار كاظم سهيل^(*)

المقدمة:

شهدت الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية تطورات سياسية خطيرة، لاسيما على صعيد الأحزاب السياسية وفي مقدمتها ظهور كتل سياسية جديدة اتخذت من حماية البيئة شعاراً لها إذ ضمت هذه الأحزاب الجماعات التي تعنى بحقوق الإنسان، وحماية البيئة، وانصار السلام، واطلقت على نفسها لقب (حزب الاحزاب)¹.

جاء ظهور تلك الأحزاب كرد فعل على فشل الأحزاب السياسية التقليدية في تحقيق ماكانت تتطلع اليه تلك الشعوب من استقرار ورخاء اقتصادي، وكرد فعل على فشل الأحزاب ذات البرامج السياسية. قامت تلك الأحزاب على برامج اقتصادية وإنسانية إذ كانت طروحاتها تعنى بقضايا الدفاع عن البيئة وحمايتها وقضايا الدفاع عن حقوق الإنسان والعلاقات الإنسانية في العالم اجمع، الى جانب التأكيد على اقامة علاقات عادلة بين دول العالم الثالث والدول الصناعية المتقدمة. ولم يقتصر الامر على برامج تلك الأحزاب وإنما تعدى ذلك ليشمل مسميات هذه الأحزاب ايضاً، إذ غالباً ما كانت تطلق اسماء وشعارات منسجمة مع مبادئها وقرية من امال وطموحات الجماهير التي اصيبت بخيبة امل كبيرة من جراء الوعود التي كانت تطلقها الأحزاب التقليدية دون وضعها موضع التنفيذ حتى عند الوصول للسلطة، لذلك يلاحظ ان قاعدة تلك الأحزاب كانت من الشباب المتحمس لحماية البيئة والحد من انتشار الاسلحة وتحقيق الرخاء والاستقرار الاقتصادي، وعلى ضوء التأيد الواسع الذي حظيت به هذه الأحزاب على مستوى القوى المحلية. بدأت بالانخراط في النشاط السياسي انطلاقاً من مفاهيمها الاولى المتمثلة في حماية البيئة والحد من انتشار الاسلحة النووية.

(*) مدرس في مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد.

¹ History of German Green Party

مقالة منشورة على شبكة المعلومات (الانترنت) على الموقع www.dw-world/German.com

ولعل من الحركات السياسية المعاصرة التي كانت تدعو الى الحفاظ على البيئة وتطالب باجراء اصلاحات وتعديلات للقرارات الحكومية ذات المساس بالبيئة هي (احزاب الخضر)^٢.

فقد تأسس اول حزب يحمل تلك المبادئ في استراليا عام ١٩٧٢ عرف باسم (جماعة نسمانيا

المتحدة)^٣، The united Tasmania Group

وقد تزامن تأسيسه مع ظهور حزب مشابه في كندا يحمل المبادئ نفسها كان يعرف باسم (الحزب

الاسترالي).

وفي عام ١٩٧٣ ظهر في نيوزيلند حزب يحمل اسم (حزب القيم ← Values Party) وكان في

واقع الامر البداية الاولى لحزب الخضر في هذا البلد^٤.

ولم تكن احزاب الخضر حصراً على البلدان الاوربية بل انتشرت في بلدان اخرى مثل البرازيل وتركيا، كما تأسست احزاب للخضر في البلدان العربية فهناك (حزب البيئة اللبناني وحزب الخضر المصري، وحزب الخضر العراقي) الا انها مازالت في طور البداية والتعلم^٥.

ومع التطورات التي شهدتها دول العالم ونتيجة لتفاقم الكوارث البيئية بسبب التصنيع المفرط وسياسات الحكومات الخاطئة والمدمرة للبيئة، حدث تطور ملحوظ لاحزاب الخضر فلم يعد نشاطها يقتصر على حماية البيئة فقط وانما امتد ليشمل كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية متخذاً من نظرية التنمية المستدامة منهجاً لتطوير وتجديد الفكر والنظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، كما اصبح لها ممثلون في البرلمانات الحكومية.

ومن هنا يبرز امامنا حزب الخضر الالماني، كنموذج لاحزاب الخضر في العالم كونه الحزب الوحيد من بين احزاب الخضر الذي نجح في الوصول الى السلطة عام ١٩٩٨ فاستطاع احداث تغييرات واضحة في معالم السياسة الخارجية الالمانية بما ينسجم ومبادئ وطروحات هذه الاحزاب.

وسوف يتم تناول نشاط هذا الحزب وتأثيره في السياسة الالمانية في ثلاثة محاور اساسية الى

جانب المقدمة والخاتمة.

المحور الاول/ حزب الخضر الالماني "النشأة والتكوين".

المحور الثاني/ افكار الحزب

المحور الثالث/ حزب الخضر والدور الالماني الجديد على الساحة الدولية

^٢ غالباً ما يختلط لدى الكثيرين اسم احزاب الخضر مع جماعة السلام الاخضر، وتعد الثانية منظمة عالمية غير حكومية تعنى بقضايا البيئة اسست عام ١٩٧٠ وتهتم بالحفاظ على البيئة والارض

^٣ Green Party of Germany/2003/

studies.us/Germany.www.country الموقع (الانترنت) على

^٤ Ibid,p2.

^٥ الازمة تفقد الخضر بريقهم"، مقالة منشورة في الـ (derspiegel)، ترجمة حياة عبد علي، جريدة الثورة، بغداد، ع ٥٦٣١، ١٩٨٥.

المحور الاول/ حزب الخضر الالماني (النشأة والتكوين)

صحيح ان تأسيس حزب الخضر الالماني قد اعلن عنه رسمياً في ١٢ كانون الثاني ١٩٨٠ في مدينة (كارلسرو) في المانيا الغربية^٦. الا ان جذوره الاجتماعية تعود لزمان ابعد من ذلك بكثير، فقد ارتبط تأسيس الحزب بالتجارب والتطورات التي عاشها الشعب الالماني في اوائل الستينيات، فقد شهدت المانيا خلال هذه الحقبة ظهور تنظيمات سياسية وعسكرية سرية، تضم جماعات ذات ميول ماركسية شديدة جراء احساسهم بالهيمنة الامريكية على صناعة القرار السياسي الالماني مع مرافق ذلك من ازدياد البطالة وقلة فرص العمل وانشغال الساحة السياسية الدولية بسياسات الحرب الباردة، وكان من ابرز هذه المنظمات التي اخذت هذا المنحى منظمة (بادر-ماينهوف) او ما تعرف بـ(اللولية الحمراء) التي مارست افعالاً شديدة ضد السلطة الالمانية، باشكال الخطف والقتل والتحريض. وكان لهذه المنظمة في تلك الحقبة هبة كبيرة على قدرتها واتساع نشاطها، لاسيما وانها كانت على علاقة مع ما يشابهها من المنظمات في العالم، كاللولية الحمراء في ايطاليا، والجيش الاحمر في اليابان، وقد مارست هذه المنظمة العنف في المانيا، واعلنت الكفاح المسلح ضد النظام الغربي في المانيا ودعت الى استخدام كافة الوسائل لاسقاط الجمهورية الالمانية الاتحادية، والتي عدتها وريثة للتراث السلطوي النازي وقد قام اعضاؤها باختطاف وقتل عدد من اعضاء الحكومة الالمانية، ووصفت عملها هذا بأنه جزء من الحرب العالمية ضد الامبريالية والتي تخوضها هذه الجماعات بالنيابة عن الطبقات العاملة والكادحة وبنية ايضاً عن شعوب العالم الثالث.

والى جانب هذه المنظمة كانت هناك منظمة اخرى لها حضورها الواضح على الساحة الالمانية في تلك الحقبة وهي منظمة (الكفاح الثوري) وكانت من المنظمات المعتدلة التي تتبنى الاشتراكية بنحو معتدل مقارنة مع غيرها من الجماعات والاحزاب اليسارية التي نشأت خلال هذه المدة، وكان من ابرز الاعضاء المؤسسين لهذه المنظمة (يوشكا فيشر Joshka fischer)^٧. الذي اصبح فيما بعد زعيماً لحزب الخضر ووزيراً لخارجية المانيا.

^٦ Paul hockenno, "Does Joshka fischer really believe in anything?"

مقالة منشورة على شبكة الانترنت على الموقع www.bostonreview.net/BR29.3/2004

^٧ ولد يوشكا مارتن فيشر عام ١٩٤٨ في مدينة (غيرايرن) الهنغارية، ابعد عن مدينته بعد الحرب العالمية الثانية واضطر العودة الى المانيا لكون عائلته ذات اصول المانية، ترعرع في وسط شعبي، وفي السابعة عشرة من عمره ترك المدرسة الثانوية ليعمل كمصور كما عمل مساعداً في مكتب الاستخدام وساعي بريد. وكان اول نشاط سياسي له هو مشاركته في التظاهرات الطلابية ضد الحرب على فيتنام، ترك المانيا وذهب الى لندن عام ١٩٦٥ ثم عاد عام ١٩٦٧ ليشكل ما عرف بـ (منظمة الكفاح الثوري) للاطلاع على المزيد من رحلة يوشكا فيشر السياسية ينظر Joschka fischer, The Free Encyclopedia, Berlin, Vol.3. P.222.

وبصيرة عامة فإن الاتجاه العام لهذه الحركات هو معارضتها الشديدة لاسلوب السوفيتية في فهم الاشتراكية الماركسية، وعلى الرغم من ان منظمة الكفاح الثوري قد نأت بنفسها عن منظمة الالوية الحمراء، لاسيما وان الاخيرة اعتمدت اسلوب الاغتيالات والتصفيات الجسدية الا انها كانت تشاركها في الاراء والمواقف المعارضة للرأسمالية والامبريالية، وكانت تعد استخدام الحجارة في التظاهرات امراً مباحاً، ولكنها حرمت استخدام الاسلحة النارية وكانت هذه نقطة فارقة بين الاتجاهين اليساريين⁸.

كما شهدت هذه المرحلة بداية لتشكيل جماعات معارضة خارج البرلمان، والتي رفعت شعار (اشاعة الديمقراطية في مجتمع المانيا الاتحادية) وتميزت بمواقفها الموحدة، اتجاه حرب الولايات المتحدة في فيتنام والاستغلال في العالم الثالث من قبل الدول الصناعية الكبرى، ثم دخلت بعد ذلك في صراع مع الحكومة ضد مشروع قانون الطوارئ الذي يخول الحكومة الحد من الحريات الاساسية ورأوا فيه عنواً اضافياً على الديمقراطية، وتلاقت جموع الشباب المنضوية تحت المنظمات السابقة مع اتحاد النقابات في تحالف متين اساسه رفض ذلك المشروع ورفض الحد من حرية الاحزاب، واعتقد طرفا هذا التحالف بإمكانية احداث تغييرات عميقة في مجتمع المانيا الاتحادية⁹.

وفي تموز ١٩٦٧ نشر كتاب (هربرت ماركوزه) تحت عنوان (الانسان ذو البعد الواحد)، والذي عد ان النظام الرأسمالي يهدف الى تقييد الانسان والحجر عليه كونه قاصراً، وسرعان ما اصبح هذا الكتاب برنامجاً مركزياً للحركة الطلابية في تلك الحقبة، اذ مارست الحركة الطلابية الماركسية حينها دوراً كبيراً في نقاشات الطلاب النظرية وتحليلاتهم تجمعت هذه العوامل لتبرز للوجود النواة التنظيمية للحركة الطلابية، والتي تمثلت بـ (رابطة الطلبة الاشتراكيين Sozialistische Deutsche student bund) ويرمز لها اختصاراً (SDS)، واطلق على حركة الشباب (المعارضة خارج البرلمان Ausser Parlanentarischen oppositin) ويرمز لها اختصاراً (Apo) وكانت تابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي ولم يكن لها تمثيل في البرلمان انما كانت اصواتها واصوات الجماعات المؤيدة لها والتي غالباً ما تكون من الشباب تذهب لصالح الحزب الاشتراكي الديمقراطي كونه الممثل السياسي لها في البرلمان، الا ان الحزب سرعان ما تخلى عن هذا الاتحاد بعد الاضطرابات الطلابية التي قادها هذا الاتحاد والتي بلغت اوجها عام ١٩٦٧ و١٩٦٨، اذ قام

⁸ Paul hockenos, Op.Cit, P.3.

⁹ Markus. W falter, Derlange wegder grunen, munchen, 2003, P.227.

الطلاب باحراق مقر صحيفة (اكسل شرنغر Axel Sprenger) والمحلات التجارية الكبرى في برلين¹⁰.

في ضوء هذه التغيرات دارت نقاشات حادة بين اعضاء هذه الاتجاهات المختلفة (نقابات العمال، حركات طلابية، انصار البيئة وغيرها) حول مصيرها السياسي، فكان التساؤل هل تبقى هذه الحركات خارج البرلمان لتمثل الذراع غير السياسي للأحزاب الممثلة في البرلمان، لتحصد هذه الأحزاب النجاح والوصول الى الحكم، في حين تبقى هذه الحركات خارج السلطة وخارج البرلمان، ام انها يجب ان تشارك في الحياة السياسية لتضع اهدافها ومبادئها موضع التنفيذ تبلورت هذه النقاشات عن افراز حزب جديد على خارطة الأحزاب السياسية الألمانية عرف باسم (حزب الخضر)، اعلى عن ميلاده في ١٢ كانون الثاني ١٩٨٠ في ولاية (كارلسرو)، متخذاً من شجرة عباد الشمس شعاراً له.

ضم الحزب الجديد عناصر ذات ايدولوجيات مختلفة اذ ان بعض اعضائه شيوعيين سابقين واخرين كانوا اداريين من بافاريا وبرلين وهامبورغ، والبعض الآخر علماء بيئة ينادون بحماية الاشجار وحماية البيئة من التلوث، وفي جميع الاحوال يرفض حزب الخضر ان يصنف ضمن التقسيمات السياسية التقليدية، اليمين واليسار لان هذه التقسيمات - كما يرونها - قد استهلكت فائدتها¹¹.

في بدايات الانخراط في العملية السياسية عد حزب الخضر نفسه بمثابة الذراع السياسي للمجموعات المعارضة من خارج البرلمان، لذلك فقد حدد هدفه الاساسي من البرلمان، بطرح مطالب الجماعات المعارضة وايصال المبادرات الشعبية واصوات الاقليات، وايصال صوت هذه المجموعات الى اعلى المستويات، لذلك رفع حزب الخضر في اول برنامج شعار (منظمة حزبية من طراز جديد) كبديل جذري للأحزاب التقليدية، وكان من ابرز اهدافه (الديمقراطية للقاعدة) اي للجماهير، والمطالبة بأن يكون الساسة والقادة في البرلمان خاضعين للمساءلة امام الجماهير، ولذلك فإن الهيكل التنظيمي لحزب الخضر الألماني حدد مدة زمنية معينة لا تتجاوز الاربع سنوات للملاكات القيادية للحزب في تولي

¹⁰ كان سبب قوة التظاهرات احتجاجاً على زيارة شاه ايران محمد رضا بهلوي الى برلين في حزيران ١٩٦٧، بسبب سياسة بلاده الخارجية بشكل عام وتواطؤها في حرب فيتنام بشكل خاص، ومما زاد في اشعال اعمال العنف في ألمانيا قيام قائد شرطة برلين اثناء هذه المظاهرات باطلاق النار على المتظاهرين واصابة احد الطلاب والذي كان هارباً ولم يبد مقاومة، وللمزيد عن هذه الاعمال ودورها في دفع الاتجاهات اليسارية في تشكيل حزب خاص بهم ينظر

George mcghec, At the Greation of New Germany, London, 1978, PP.167-172.

¹¹ I Bid, 229.

مسؤولية القيادة ثم تنتقل بعد ذلك الى اعضاء اخرين، كما اتبعوا حتى عام ١٩٩٨ طريقة التناوب في البرلمان فالعضو المنتخب في البرلمان المحلي في الولايات الالمانية او في البرلمان الاتحادي (الرايخسرات Reichsrat) يمثل حزبه لمدة سنتين فقط ثم يأتي بعده عضو اخر، لذلك فقد كان اعضاء الحزب يمارسون اعمالهم في قيادة الحزب الى جانب اعمالهم الاخرى دون مقابل مادي من الحزب وتحت شعار كل انسان يجب ان يعيش من اجل السياسة وليس من السياسة ويلتقي داخل حزب الخضر اتجاهان كبيران، الاتجاه الاول الاتجاه البيئي المدافع عن الطبيعة ضد اخطار الحضارة الصناعية، هذا الاتجاه الفكري الذي ظهر في حقبة الستينات والسبعينات في المانيا كما في سائر المجتمعات الصناعية، وهو يركز على مواجهة التلوث ورفض حلقة الانتاج الاستهلاكي التي لاتقف عند حد-وحسب اعتقاد علماء البيئة- فأن الانسان المعاصر اصبح اسيراً لها، وان الحضارة الصناعية نوع من الجنون البشري سيصل بالانسانية الى كارثة لا مفر منها.

اما الاتجاه الثاني، هو الاتجاه السلمي الرافض للحروب واستخدام الاسلحة النووية وقد برز هذا الاتجاه في المانيا وايطاليا واليابان ودول اوربا الغربية، ويعكس هذا الاتجاه الشكوك المتنامية داخل الدول الاوربية تجاه قيمة التحالف الغربي مع الولايات المتحدة الامريكية الى جانب مخاوفه البيئية والانسانية من استخدام الاسلحة الكيميائية^{١٢}.

وبناءً على هذه الخلفية فأن مايميز حزب الخضر عن بقية الاحزاب في المانيا، هو انه اولاً في بدايته لم يكن حزباً بل حركة واسعة تضم عدداً من الجمعيات والهيئات ذات الانتماءات المختلفة والتي جعلت من الانسان والطبيعة هدفها الاساسي، وثانياً وهذا هو الهم فهو حركة رفض عميقة للحضارة الصناعية يمينها ويسارها واقتصادها وآلاتها وجيشها وايدولوجيتها.

المحور الثاني/ افكار الحزب

يمكن القول ان افكار الحزب قد تبلورت بشكل واضح خلال مؤتمر الحزب الثاني الذي انعقد في بلجيكا في ٢٤ اذار ١٩٨٥، بعد ان طرح بشكل صريح موقفاً سياسياً واضحاً من خلال شعارين رفعهما اعضاء الحزب اثناء اجتماعهم، الاول يؤكد على (لايسار ولا يمين وانما التقدم الى

¹² Gree Party of Germany, Op.Cit, P.8.

الامام) اما الثاني فيؤكد على التحرك محلياً والتفكير عالمياً. وقد جاء هذان الشعاران بعد مناقشات مستفيضة وقوية بين اعضاء الحزب، اسفرت عن بلورة برنامج الحزب ضمن البنود الآتية^{١٣}:

١. رفض نشر الاسلحة النووية والعمل من اجل تعزيز التعاون الدولي لضمان الامن المتبادل وتنشيط حركة عدم الانحياز.
 ٢. ممارسة كل مامن شأنه نبذ المركزية، والتأكيد على التركيز الاقتصادي والسياسي لصالح انتهاز سياسة تقوم على اساس تشجيع المبادرات المحلية والاقليمية.
 ٣. رفض السياسة الداعية لاستخدام الطاقة النووية كشكل من اشكال الطاقة، والتوجه نحو موارد الطاقة الطبيعية.
 ٤. رفض هيمنة الصناعة في البلدان المتقدمة على دول العالم الثالث والعمل من اجل قيام استراتيجية جديدة تقوم على اساس التبادل والتنمية الصحيحة التي تهدف الى تحقيق التكافؤ بين الطرفين.
 ٥. رفض كافة اشكال العنف واحترام حقوق الانسان.
 ٦. رفض الهيمنة والعمل من اجل المساواة الاجتماعية والاقتصادية بين الجنسين.
- وعملياً ان حزب الخضر من خلال طروحاته الفكرية بشأن معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، او من خلال نظريته لمستقبل العلاقات الدولية اخذ يشكل قوة جذب مهمة ليس للشباب وحدهم وانما ايضاً لكل اولئك الذين خيرو الحروب العالمية وكل الاطراف الداعية لاحترام حقوق الانسان، لاسيما فيما يتعلق بارساء نمط عادل من العلاقات مع شعوب العالم الثالث.
- والى جانب ذلك فأن الظاهرة الاخرى التي شكلت عامل جذب نحو هذا الحزب من قبل الشباب الالمان تعود الى النشاط اليومي لاعضاء الحزب، اذ ان معظم اعضائه لا يتجاوز متوسط اعمارهم الاربعين عاماً وهو ما يقل عشر سنوات عن متوسط اعمار الاعضاء في بقية الاحزاب الاخرى، واصرارهم على عدم ارتداء الزي الرسمي الخاص بالبرلمان وارتداء الجيترات والقمصان الاسبورت وطرح افكارهم بشكل مبسط وعام شكل عامل جذب اضافي لصالح الحزب، وقد انعكس

¹³ تم نشر وقائع هذا الاجتماع وما اسفر عنه من نتائج تتعلق بحزب الخضر في جريدة الجمهورية تحت عنوان (الخضر قوة سياسية سريعة النمو)، ع ٥٦٨٤، بغداد، ١٩٨٥.

ذلك على نشاط الحزب في الحصول على عدد من مقاعد الرايخشتاغ، وفيما يلي جدول يوضح عدد المقاعد والاصوات التي حصل عليها الحزب للحقبة الممتدة من (١٩٨٣-٢٠٠٢) ^{١٤}.

السنة	نسبة الاصوات الحاصل عليها	عدد المقاعد
١٩٨٣	٥,٦%	٢٧
١٩٨٧	٦,٣%	٤٢
١٩٩٠	٤,٨%	٥
١٩٩٤	٧,٣%	٤٧
١٩٩٨	٧,٦%	٤٩
٢٠٠٢	٨,٨%	٥٥

ومن خلال الاطلاع على هذا الجدول نجد ان عام ١٩٩٠ شكل عامل تراجع كبير بالنسبة لحزب الخضر الالماني، ويعود السبب في ذلك الى عاملين اساسين:

١. ان هذا العام شهد تحقيق الوحدة الالمانية اذ شهدت المانيا في كانون الاول ١٩٩٠ اول انتخابات برلمانية على مستوى المانيا الموحدة ولم يستطع حزب الخضر الحصول على نسبة عالية من التمثيل في البرلمان الالماني وذلك بسبب موقفه الرافض لعملية الوحدة مع الجزء الشرقي من المانيا انطلاقاً من مبادئه التي كانت تتحفظ على التعامل مع القوى التي كانت تحسب على خط اليسار المتطرف والتي كانوا يجدونها في احزاب الجزء الشرقي الاشتراكي، هذا الامر جعلهم بعيداً عن التأييد الشعبي في هذه الحقبة.

٢. لقد عرفت المانيا الديمقراطية ايضاً وجود تيارات وجماعات مدافعة عن حقوق الانسان وعن البيئة والتي انضوت تحت حزب عرف ايضاً بحزب الخضر الديمقراطي الذي ضم ايضاً نسبة كبيرة من المثقفين المرتكزين بثقلهم السياسي في الدفاع عن الحقوق المدنية وحقوق الانسان، وان كان هذا الحزب يميل الى الخط السياسي الذي ينتهجه حزب الخضر الا انه لم يستطع التوافق مع اهدافه وبرنامجه السياسي، فكانت النتيجة سلبية على كلا الحزبين فلم يحصل حزب الخضر (في القسم الغربي) الا على خمسة مقاعد، اما حزب الخضر في القسم الشرقي فلم يحصل الا على ثمانية مقاعد، وقد دفعت هذه النتيجة الحزبين نحو الائتلاف لتشكيل حزباً موحداً للخضر يتلاءم مع الوحدة الالمانية ويمثل جميع الالماني وفي عام ١٩٩٢ تم الاتفاق على

توحيد الحزب في حزب واحد اطلق عليه اسم (حزب الخضر وتحالف التسعين) ليخوض هذا الحزب سلسلة من النجاحات البرلمانية¹⁵.

وقد شكل عام ١٩٩٨ نقطة تحول مهمة في تاريخ حزب الخضر فخلال هذا العام تمكن الحزب الاشتراكي الديمقراطي social democratic party من الفوز على الحزب المسيحي الديمقراطي (christian Democratic party)، ونجح في تشكيل الحكومة بالتعاون مع حزب الخضر بعد ان رفض الحزب المسيحي الديمقراطي وحزب الاحرار الديمقراطي (Free Democratic party) الائتلاف معه في تشكيل الحكومة، وبهذا يكون الحزب الاشتراكي قد نجح في ازاحة الحزب المسيحي الديمقراطي بعد ستة عشر عاماً من حكم البلاد، لتبدأ بذلك مرحلة حكم اليسار الالماني التي استمرت من (١٩٩٨-٢٠٠٥) وبما ان حزب الخضر كان الشريك الرئيس مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي في تشكيل الحكومة لذلك فقد اصر اعضاء الحزب على حقيقة الوزارة الخارجية والتي شغلها زعيم الحزب يوشكا فشر Joschka Fischer فكان من الطبيعي ان تأتي السياسة الخارجية الالمانية خلال هذه الحقبة انعكاساً لمبادئ واهداف حزب الخضر، وهذا ما سيتم التطرق اليه في الصفحات التالية من هذا البحث.

المحور الثالث/ حزب الخضر والدور الالماني الجديد على الساحة الدولية

لقد كان هناك ادراك الماني لاهمية المتغيرات التي شهدتها المانيا واوروبا والعالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، هذا الامر انعكس على الرؤية الالمانية لمركز ومجال عملها على الصعيد الدولي وعلى ترتيب اولويات السياسة الخارجية وقد تزامن ذلك مع وصول حزب الخضر للسلطة فكان من الطبيعي ان تكون سياسة الحكومة الالمانية انعكاساً لمبادئ هذا الحزب لاسيما في مجال سياستها الخارجية، لذلك شهدت هذه الحقبة (١٩٩٨-٢٠٠٥) تطوراً واضحاً في السياسة الخارجية الالمانية كان في مقدمته:

١. سعي المانيا للبروز كقوة دولية مستقلة ذات ثقل سياسي واقتصادي مؤثر في القضايا الدولية.
٢. التحرر من التبعية للقرار الامريكي التي كانت تهيمن على السياسة الخارجية الالمانية في ظل حكومات اليمين السابقة.

15. علي دريوسي، الخضر الالماني وتحالف التسعين، مقالة منشورة على شبكة المعلومات (الانترنت) على الموقع www.Google.com 2004

٣. سعي المانيا بالتحالف مع فرنسا الى تفعيل دور الاتحاد الاوربي سياسياً وعسكرياً، لوضع حد للانفراد الامريكى والتدخل في شؤون القارة الاوربية.

وبناءً على ما تقدم برزت التحركات الخارجية للسياسة الالمانية في مجالات متعددة ابتداء من الشرق الاوسط، وازمة البلقان؛ مروراً بقضايا القارة الاوربية، مع مراعاة ان هذه التحركات قد تشابكت في دوائر متعددة، حيث برزت على صعيد ازمة البلقان ودائرة حرب الخليج الثالثة الى جانب دائرة الاتحاد الاوربي. ولعل عرضنا لموقف المانيا من هذه الازمات يبين لنا التغير الذي طرأ على السياسة الخارجية الالمانية خلال حقبة حكم الخضر المؤتلف مع الاشتراكيين الديمقراطيين.

اولاً: الموقف من أزمة كوسوفو ١٩٩٨

تعد الحرب على كوسوفو^{١٦} من ابرز الاحداث التي سلطت الاضواء على السياسة الخارجية لحزب الخضر، ووضعت في محك الاختبار داخلياً وخارجياً، لاسيما وان الحزب الاشتراكي الديمقراطي وحزب الخضر كانا يعيدان عن مقاعد السلطة لحقبة طويلة، الامر الذي جعل السياسة الخارجية الالمانية تنسم بطابع الاحزاب اليمينية المعروفة بتبعية قرارها للولايات المتحدة الامريكية، لذلك كان تعامل حزب الخضر مع هذه الاحداث انعكاساً لقدرته على صياغة سياسة خارجية جديدة لالمانيا.

فقد كان لحزب الخضر أثره الحاسم في التطورات التي شهدتها الازمة، لاسيما سعيه لوضع حد للانفراد الامريكى في قيادة قوات حلف الاطلنطي، والعمل من اجل خلق نوع من التوازن بين القوة العسكرية الاوربية والقوة العسكرية الامريكية لتأخذ العلاقة بينهما صفة التوازن عبر الاطلنطي وليس التبعية للقرار الامريكى، لذلك اكد وزير الخارجية الالماني وزعيم حزب الخضر "يوشكافيشر" على ضرورة المشاركة في ارسال قوات المانية للمشاركة في العمليات العسكرية التي تشنها واشنطن على كوسوفو، ومع ان الحكومة الالمانية كانت ترفض بشدة ارسال قوات المانية الى خارج حدود المانيا، الا ان المجازر الدموية التي دبرها الصرب ضد المسلمين ادى الى حدوث رد فعل قوي لدى صانع القرار الالماني لاسيما الليبراليين منهم، اذ لم يتصوروا ان تحدث مثل هذه المجازر المروعة في اوربا، هذا الحدث وفر دافعاً قوياً لدى الحكومة الالمانية في ارسال قوات المانية للمشاركة في ايقاف هذه المجازر الدموية^{١٧}.

وقد جاء حجم المشاركة الالمانية بالمرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وحسب مجلة "الايكونوليس" فان واشنطن قد غطت ٦٠% من اجمالي تكاليف العمليات العسكرية

١٦ - للاطلاع على ازمة كوسوفو، ينظر عزة جلال، كوسوفو جذور الصراع في البلقان، مجلة السياسة الدولية القاهرة، ١٩٩٩، ١٣٧٤، ص ٨٠.

١٧ - السياسة الخارجية الالمانية من التبعية الى الاخذ بيد المبادرة، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الانترنت) على الموقع www.Google.com P.I

اذ قدمت (٧١٥٠) جنديا و (١٦) قطعة بحرية و (٢٤٩) طائرة حربية في حين قدمت بريطانيا (٦٦٠٠) جندي و (٨) قطع بحرية و (٣٥) طائرة حربية، اما فرنسا فقد قدمت (٣٤٠٠) جندي و (٣٥) طائرة حربية و (٨) قطع بحرية، في حين قدمت ألمانيا (٤٢٠٠) جندي، وقطعة بحرية واحدة و ٨ طائرات^{١٨}.

اما على الصعيد الدبلوماسي، فقد كان لحزب الخضر دور بارز في دفع الحكومة الألمانية في السعي لنقل الازمة من الحرب الى القنوات الدبلوماسية، عن طريق وزير الخارجية الألماني (يوشكا فيشر)، والذي اطلقت عليه الصحف الاوربية اسم "المنظر للجهود الدولية" من اجل حل المشكلة عبر الطرق الدبلوماسية وحمية التوصل الى اتفاق استقرار من اجل تحقيق السلام الدائم في اقليم البلقان لاسيما وان فيشر قد تعرض الى انتقادات حادة من جانب اعضاء حزبه، بسبب سياسته المؤيدة لارسال قوات المانية للمشاركة في العمليات العسكرية في البلقان^{١٩}.

وقد نجح وزير الخارجية الألماني في اقناع الدول الاوربية المشاركة في العمليات العسكرية بوقف اطلاق النار واتاحة الفرصة امام الجهود الدبلوماسية من اجل التوصل الى حل المشكلة عبر القنوات الدبلوماسية، وقد اثمرت هذه الجهود في الدعوة الى توقيع ماعرف باسم "ميثاق استقرار البلقان" في العاشر من حزيران ١٩٩٩، والذي شارك فيه الى جانب دول الاتحاد الاوربي، دول غير اوربية من مجموعة الثمانية وهم كل من (الولايات المتحدة، روسيا، اليابان وكندا) في حين شارك من دول المنطقة كل من (البانيا، البوسنة و الهرسك، بلغاريا، اوكرانيا، مقدونيا، المجر، ورومانيا، سلوفينيا وتركيا). وقد تناول الميثاق وضع بروتوكول سلام توقع عليه الاطراف المتنازعة، الى جانب البحث في سبل تقديم المعونات المالية للمدن اليوغسلافية المتضررة، وقد قررت الدول الموقعة على الميثاق تخصيص (٥٠٠ مليون يورو) اي ما يعادل (٤٣٠،٧ مليون دولار) كمعونات تخصص لاصلاح شبكات الطاقة الكهربائية ووسائل المواصلات والتعليم، وقد تم تقسيم المعونات على الدول المتضررة على النحو الاتي ٢،٣ مليار دولار لصربيا ١،١ مليار لكوسوفوا، ١،٥ مليار لباقي دول المنطقة (اوكرانيا، البانيا، البوسنة و الهرسك، مقدونيا، الجبل الاسود) و ٠،٦ مليار للتعاون الاقليمي^{٢٠}.

١٨ - حسن ابو طالب، حرب كوسوفو وحدود التغير في النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٩٩، ع ١٣٧٤، ص ٩٧.

١٩ - نزيهة الافندي، المانيا نجاح خارجي وتحديات داخلية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٩٩، ع ١٣٧٤، ص ٢٢٦.

وبالانتقال من الجانب العسكري والدبلوماسي الى الجانب الاقتصادي، نجد ان المانيا تقف في مركز الصدارة فيما يتعلق بالانفاق المالي لاعادة اعمار كوسوفو، بعد ان تحملت واشنطن العبء الاكبر والرئيس في تنفيذ العمليات العسكرية وحسب بيانات مفوضية الامم المتحدة للاجئين. فان المانيا كانت في المرتبة الاولى من بين الدول الاوربية في تقديم الدعم والمأوى لالبان كوسوفو، حيث قدمت (٢٠ الف) مأوى تم استغلال ٩٩٧٤ منها حتى نهاية نيسان ١٩٩٩، الى جانب تقديم مبلغ ١,٨ مليون دولار لدعم النازحين من المناطق المتضررة^{٢١}.

يتضح لنا ان واقع التحرك الالمانى (العسكري والسياسي والاقتصادي) تجاه منطقة البلقان عامة وكوسوفو خاصة، قد جاء منسجما مع مبادئ وطروحات الخضر التي تؤكد على ضرورة اتساع الرؤية الالمانية في مجال علاقاتها الخارجية لتشمل دول اوربا الشرقية على اساس ان هذه الدول تشكل احد دوائر المصالح الحيوية الاوربية بالنسبة لالمانيا، من هنا كانت دعوات الحزب على ضرورة وجود علاقة شراكة بين الجانبين وبالشكل الذي يحول دون التغلغل الامريكي في هذه المنطقة.

ثانياً: حزب الخضر والموقف من حرب الخليج الثالثة

من المعروف ان الحكومة الالمانية بعد تفجيرات الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ اعلنت تضامنها غير المحدود مع واشنطن في حربها ضد الارهاب. واستعدادها لارسال قوات المانية للمشاركة في العمليات العسكرية في افغانستان، الا ان هذا الموقف شهد تغيرا ملحوظا فيما يتعلق بالعدوان الامريكي على العراق عام ٢٠٠٣ وقد شكل الموقف المعارض للحرب على العراق نقطة اساسية في برنامج حزب الخضر الالمانى اثناء خوضه للحملة الانتخابية الثانية (٢٠٠٢-٢٠٠٤)، وقد جاء هذا الموقف المعارض بعد ان ادركت برلين ان واشنطن بدأت تستغل قضية الارهاب لفرض زعامتها على العالم ولتحقيق مصالح استراتيجية خاصة بواشنطن مستغلة بذلك دعم الدول الاوربية لها.

وقد ادت المواقف الالمانية المعارضة للحرب الى تعارضها، ولاول مرة مع المواقف الامريكية التي كانت ترى في التصريحات الالمانية الراضية للحرب على انها ليست الا برامج انتخابية وسوف تبدل بعد انتهاء الانتخابات. ولكن نجاح الحزب الاشتراكي الديمقراطي با لائتلاف مع حزب الخضر في تشكيل الحكومة واصرار الاخير على تنفيذ برنامجه الانتخابي، اديا الى اختلاف السياسة الالمانية عن السياسة الامريكية التي كانت دوماً ترى في المانيا حليفاً استراتيجياً لها.

٢٠ - كريستين عبد الله اسكندر، اوربوا وجهود اعادة البناء في البلقان، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ع ١٤٣، ٢٠٠١. ص ١٦٩.

٢١ - حسن ابو طالب، المصدر السابق، ٩٧.

وقد تجلّى التباعد-الاماني الامريكي بشكل كبير خلال اجتماع وزير الخارجية الالماني "يوشكافيشر"، بوزير الدفاع الامريكي "دونالد رامسفليد" في ميونخ في شباط ٢٠٠٣. لمناقشة الاسباب التي تدفع الولايات المتحدة لاحتلال العراق. وقد عبر "فيشر" عن رايه اثناء اللقاء بالقول "انني غير مقتنع بالاسباب التي تقدمها واشنطن للتدخل العسكري في العراق، كما اننا (الامان) لدينا ديمقراطتنا التي تختلف عن الديمقراطية الامريكية"^{٢٢}.

ومن خلال هذا الموقف رفضت المانيا تقديم اي دعم عسكري لواشنطن في حربها على العراق. كما رفضت وبالاتفاق مع فرنسا وبلجيكا على استخدام الحلف الاطلسي كأداة بيد الولايات المتحدة في حربها ضد العراق^{٢٣}.

ولم يقتصر الموقف الايجابي الالماني تجاه العراق على مسؤولي الحكومة الالمانية وانما امتد الى اكثر من ٢٠٠ منظمة سياسية ومدنية والتي حشدت ما يقارب من مليوني متظاهر للتنديد بسياسة جورج بوش ونزعته العدوانية تجاه العراق، وقد رفض ٧٤% من الشعب الالماني سياسة واشنطن اتجاه العراق^{٢٤}.

وبصورة عامة يمكن القول ان حزب الخضر نجح في فرض رؤية سياسية جديدة خاصة بالمانيا، معلنة بذلك ولادة سياسة خارجية جديدة مستقلة عن الهيمنة الامريكية.

ثالثاً: حزب الخضر في نطاق الاتحاد الاوربي

اصدر حزب الخضر عام ١٩٩٤ برنامجاً جديداً للحزب يتلاءم والتطورات الجديدة التي شهدتها المانيا بعد تحقيق الوحدة، واهم ما جاء في هذا البرنامج هو تصورات الحزب عن مستقبل المانيا ودورها العالمي في بداية القرن الواحد والعشرين، الى جانب علاقة المانيا مع جيرانها من الدول الاوروبية من خلال التعاون المشترك لتطوير الاتحاد الاوربي اذ جاء فيه "يجب ان نستمر باعطاء سيادة قومية لكل المؤسسات التابعة للاتحاد الاوربي. وفي عالم تسود فيه قوى قطبية واحدة يجب على اوروبا ان تظهر بشكل اتحاد فيدرالي قوي ومتماسك من اجل ان تحتل مكانتها العالمية في حل المشاكل الدولية والاضطرابات الاقليمية، ومشاكل البيئة والاحتباس الحراري، ومشاكل المخدرات والادمان"^{٢٥}.

^{٢٢} السياسة الخارجية الالمانية من التبعة الى الاخذ بيد المبادرة مصدر سبق ذكره، ص ٢.

^{٢٣} علي الحاج، سياسة دول الاتحاد الاوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص ١٨١.

^{٢٤} -عبد العظيم حماد، خفايا السياسة الخارجية في الانتخابات الالمانية، مجلة سياسة دولية، القاهرة، ١٥٤، ٢٠٠٠، ص ١٩٢.

من خلال هذا البرنامج يلاحظ ان قضية اوربوا ودور المانيا في اوربوا مثل محور البرنامج السياسي لحزب الخضر لذلك فقد كانت سياسة الحزب خلال هذه الحقبة قائمة على اساس السعي من اجل تشكيل اتحاد ديمقراطي للدول الاوروبية المنضوية في اطار الاتحاد الاوروبي الذي يمتد من الاطلسي وحتى الاورال ومن البلطيق وحتى البلقان بما في ذلك تركيا.

وعلى الرغم من ان تحقيق الوحدة الالمانية اثار مخاوف فرنسا من الدور الجديد للقوة الالمانية ضمن دول الاتحاد الاوروبي، لاسيما وان هذه الوحدة تمدد عملية التعادل والمساواة التي لازمت ومنذ عام ١٩٥٠ الدولتين المؤسستين للاتحاد الاوروبي والتي تعطي لكل منهما اي (فرنسا ومانيا) عشر اصوات، الا ان هذا الامر اصبح مهدد منذ ان استكملت المانيا وحدتها لتقف في مقدمة الدول الاوروبية داخل الاتحاد من حيث ثقلها السكاني، الامر الذي يعطيها التميز على بقية دول الاتحاد الاوروبي، لاسيما في عملية التصويت على اتخاذ القرارات داخل الاتحاد^{٢٦}.

الا ان حزب الخضر نجح في احتواء هذه الازمة وانتهج بالتعاون مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي سياسة قائمة على مبدأ عدم اثار حساسية الدول الاوروبية من الدور الالمني الجديد، واقامة علاقات قائمة على اساس التعاون بينهما وبين الدول الاوروبية ولاسيما فرنسا، ولتعزيز هذا الدور قدم حزب الخضر عن طريق زعيم الحزب ووزير الخارجية الالمانية "يوشكا فيشر" مشروعاً لتطوير الاتحاد الاوروبي تابع عن دراسة عميقة لوضع الاتحاد يقوم هذا المشروع على اساس تطبيق نظام الاتحاد الفيدرالي الديمقراطي للدول الاوروبية المنضوية في الاتحاد يتمتع اعضاؤه بحكم ذاتي ونتيجة لهذا الموقف الالمني بادرت فرنسا الى تقديم مشروع مكمل ومؤيد للمشروع الالمني على نحو يدعم مبدأ الاغلبية الميزة عند التصويت داخل المجلس، وكان اهم ما جاء في هذا المشروع هو احتفاظ الدول الثلاث الكبرى (فرنسا، بريطانيا، ايطاليا) بـ ٣٠ صوتاً، اما اسبانيا فأفلسا ستحصل على ٢٨ صوتاً، وهذا الترتيب الجديد تحتفظ الدول المؤسسة بالاغلبية الميزة امام تزايد عدد الدول الصغيرة داخل الاتحاد الاوروبي، بالمقابل ستحتفظ الدول الصغيرة بمثلها داخل اللجنة الحكومية التابعة للاتحاد، وفي مقابل الحفاظ على تعادل الاصوات بين الدول الكبرى فان المانيا قد حصلت على وضع مميز داخل الاتحاد، وذلك وفقاً للمادة المتعلقة بالحجم السكاني التي تنص على "ان اي قرار يتخذ من قبل المجلس يجب ان توافق عليه الدول التي تمثل على الاقل نسبة ٦٢% من مجموع سكان دول الاتحاد". وهذه المادة لصالح المانيا التي اصبحت بعد الوحدة تتمتع باكثر ثقل سكاني في الاتحاد ((٨٠ مليون نسمة))^{٢٧}.

٢٥- حزب الخضر (المبادئ والأفكار)، مقالة منشورة على شبكة المعلومات (الانترنت) على الموقع،

www.Google.com.2004

٢٦- نيبية الاصفهاني، قمة نيس او حصيلة الرئاسة الفرنسية للاتحاد الاوروبي مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ع ١٤٣،

٢٠٠١، ص ١٦٥

٢٧- المصدر نفسه، ص ١٦٦

ومن جانب آخر سعت كل من ألمانيا وفرنسا إلى تفعيل دور الاتحاد الأوروبي عن طريق إنشاء قوة عسكرية أوروبية مشتركة تتولى مسألة حماية الأمن الأوروبي، وقد أكد المشروع "بأنه على الرغم من الجهود الأوروبية المتواصلة لتحقيق الاستقرار في القارة الأوروبية، إلا أن الاتحاد الأوروبي ما زال يفتقد إلى القدرة العسكرية المؤهلة بالقدر الكافي لكي تتدخل بفعالية لحل أزمات وصراعات كذلك التي حصلت في البلقان وفشلت في حلها القوة الأوروبية تاركة المهمة إلى قوات حلف الأطلسي الذي يأتمر من خارج القارة.

ومن أجل تفادي غضب واشنطن أكد المشروع على أن هذه القوة سوف تصبح بمثابة الجسر بين الجماعة الأوروبية والحلف الأطلسي، وأن تكون نواة لرسم سياسة أمنية ودفاعية جديدة لدول الاتحاد الأوروبي، إلا أن هذا المقترح واجه تحفظات من حكومي بريطانيا وهولندا اللتين عبرتا عن معارضتهما لكل تخفيض للوجود العسكري الأمريكي في أوروبا^{٢٨}.

وفي الحقيقة فإن هذا المشروع عليه الكثير من المآخذ فهو إلى جانب اعتراض بعض الدول الأوروبية، فإنه لم يناقش المشاكل والمتطلبات اللوجستية والمالية، ومع ذلك فإن هذا المشروع يبقى ضمن طموحات الوحدة الأوروبية التي يتطلع إليها حزب الخضر.

ومن خلال هذا العرض للدور الألماني الجديد في السياسة الخارجية يمكن القول بأن حزباً الخضر بالتحالف مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي نجح في دفع ألمانيا نحو الامام. فمع اتباع سياسة ليبرالية أصبحت ألمانيا دولة قوية وواثقة من الدور الذي تمارسه في عملية حفظ السلام العالمي، كما نجحت هذه الحكومة في إزالة شكوك الكثير من الدول الأوروبية حول المطامع الألمانية والدور الألماني الجديد بعد تحقيق الوحدة الألمانية.

الخاتمة

من خلال استعراضنا لرحلة حزب الخضر الألماني منذ نشأته وحتى وصوله للحكم فأننا نخرج بالاستنتاجات الآتية:

١. حزب الخضر هو أحد الأحزاب السياسية التي ظهرت في ألمانيا كأحد نتائج الحرب العالمية الثانية، وكان ظهوره كرد فعل على عجز الأحزاب التقليدية في إنقاذ ألمانيا من آثار حربين مدمرتين.

٢. ضم الحزب عناصر من الشباب الذي عاش في حقبة ما بعد النازية وهي الحقبة التي كان مطلوب من قادتها ازالة اثار النازية من المجتمع الالماني، لذلك نجحت في تولي زمام السلطة في المانيا بما انجزته من مشاريع ليبرالية كان لها الاثر في ازالة شكوك دول اوروبا حول المطامع الالمانية والدور الالماني الجديد في اوروبا، ولعل من اهم هذه التحولات هو تغيير موقف الشعب الالماني من الاجانب وعدم الحديث عن الصفاء ونقاء الدم، وتعد المانيا الان واحدة من الدول الاوروبية القليلة التي شرعت قوانين للهجرة متسامحة الى حد كبير مع العمالة الوافدة الى المانيا، وفي عام ١٩٩٩ حصل مليون شخص على الجنسية الالمانية وهو رقم كبير جداً مقارنة مع باقي الدول الاوروبية^{٢٩}.

٣. اما في مجال السياسة الخارجية فقد شهدت اوروبا ظهور دور جديد لالمانيا في نطاق السياسة الاوروبية ذاتها، ذلك ان مجرد قيام المانيا بارسال قوات المانية في عمليات عسكرية لحلف الناتو قد اظهر قدرة المانيا على التخلص من الارث التاريخي القديم، ارث الانكماش داخل الحدود الالمانية الذي تحكم طوال نصف قرن في السياسات الالمانية الخارجية، فيما جسد تحرر المانيا عن النسق التقليدي الذي كان يربط بين المانيا والولايات المتحدة طوال العقدين الماضيين الدور الجديد للسياسة الخارجية الالمانية القائمة على مبدأ التوازن مع واشنطن وليس التبعية للقرار الامريكي. وقد جاء ذلك جزءاً من استراتيجية حزب الخضر الالماني في ادارة المانيا^{٣٠}.

²⁹ نبيه الاصقهانى، المصدر السابق ، ص ١٦٧
³⁰ المصدر نفسه.